الربُّ جل جلاله

إن لهذا الكون مالكًا يملكه ويدبر أمره ويقوم على شئونه، يرزق ويكلأ ويمنح ويرعى ويحفظ، يربي ويؤدب ويقوّم، يتصرف في الأمور والأقدار والآجال، يصون أولياءه ويدني أصفياءه، يمهل العاصي ويثيب الطائع، يصلح الأجساد والأرواح والقلوب؛ وإننا إن أردنا أن نجمع كل ما مر في كلمة واحدة قلنا: "إن لهذا الكون ربًا"، فإن كلمة الرب شاملة لكل هذا، ذاك هو الله رب العالمين.

✉نريد أن نتفيأُ في ظلال أسماء ربنا الكبير المتعال سبحانه وتعالى، نتفيأُ من عظيم معانيها ما يزيدنا إيمانًا، ومن جميل دلالاتها ما يزيدنا منه قربًا، ومن لذيذ ما يكتنفها من المعاني والحِكم والأحكام ما يُقوي في طريق العبودية لله عز وجل سلوكنا ويُثبّت أقدامنا ويَرقى بنا في أعلى درجات عباده الصالحين.

📠فهيا نشرع سويًا ننهل من معاني هذا الاسم العظيم، (الربُّ) من أسماء الله –عز وجل- الحسنى التي يدعى بها، ويمجد بها، ويقدس بها.

📂اسم الله الرب: هو أول اسم نزل به القرآن، وهو كذلك أول اسم من أسماء الله الحسنى يأمر الله رسوله ﷺ أن يقرأ به قائلًا سبحانه: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [العلق: 1].

✉اسم الله الرب تشعر فيه حين تفهم مدلوله ومعناه بنوع من الطمأنينة والسكينة؛ إذ أن هذا الاسم في ثنايا معناه: أنه هو سبحانه وتعالى هو الرازق والخالق ومدبر الأمر؛ فتشعر بأنك تضع همومك، وكل ما أثقل ظهرك، على بابه وأعتابه، فتشعر بالطمأنينة والسكينة، وتشعر أنه لا ينبغي لك أن تخاف من شيء، تشعر بنوعٍ من الأمان في ثنايا مدلول هذا الاسم الشريف.

أولًا: ورود الاسم في الكتاب والسنة.

✉وورد ذكره في القرآن في أكثر من 900 موضع؛ كقوله تعالى: {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} [يس:58]، وكذلك: {بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} [سبأ من الآية:15]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: 2]، وقوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 74].

✉وورد هذا الاسم الشريف في السنة في مواضع كثيرة منها: - ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «ألا وإني نُهيتُ أن أقرأَ القرآنَ راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوعُ فعظموا فيه الربَّ» (صحيح مسلم[479]).

⇦هنا أتى اسم الله الرب مُعرّفًا مطلقًا ودالًّا على كمال الوصفية.

والحديث كذلك عند الترمذي وصحّحه الألباني من حديث عمرو بن عبس أنه سمع النبي ﷺ يقول: «أقربُ ما يَكونُ الرَّبُّ منَ العبدِ في جوفِ اللَّيلِ الآخرِ، فإن استَطعتَ أن تَكونَ مِمَّن يذكرُ اللَّهَ في تلكَ السَّاعةِ فَكُن» (صحّحه الألباني في صحيح الترمذي[3579]).

وورد عند البخاري من حديث مالك بن صعصعة -في حديث الإسراء- أن النبي ﷺ قال: «فأتيتُ على موسى فسلمتُ عليه، فقال: مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ، فلما جاوزتُ بكى، فقيل: ما أبكاكَ؟ قال: يا ربِّ هذا الغلامُ الذي بُعِثَ بعدي، يدخلُ الجنةَ من أمتِه أفضلُ مما يدخُلُ من أمتي» (صحيح البخاري[3207]).

⇦والأدلة كثيرة على أن الرب اسم من أسماء الله تعالى الحسنى؛ سمّى الله به نفسه في كتابه، وسمّاه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: معنى الاسم في اللغة واصطلاحاً:

🗐قال ابنُ الأنباري: "الرَّبُّ ينقسِمُ على ثلاثةِ أَقْسامٍ: يكونُ الرَّبُّ المالِكَ، ويكونُ الربُّ السَّيِّدَ المُطاعَ، ويكون الربُّ المُصلِحَ، ربَّ الشيءَ إذا أصلحَه".

🗐قال ابنُ كثيرٍ: "والرَّبُّ هو المالِكُ المتصرّفُ، ويُطلقُ فِي اللُّغةِ على السَّيِّدِ وعلى المتصرّفِ للإِصْلاحِ، وكلُّ ذلك صحيحٌ في حقِّ اللهِ تعالى".

❶قال الزجاجي: الرَّبُّ: هو المصلح للشيء.

🗐قال الراغب: "الرب في الأصل التربية وهي إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حدِّ التمام".

✉ قال الخازن: الرَّبُّ: هو المربي لجميع خلقه بالرزق والتدبير والحفظ والعناية، والمربي لأوليائه بإصلاح قلوبهم وتصفية أرواحهم وتهذيب أخلاقهم.

✉وتربية الله لعباده:

❶تربية عامة: يربي جميع خلقه بالنعم والأرزاق والتدبير.

❶وتربية خاصة: وهي تربية القلوب، وهذه لخواص عباده.

✡ فالله يربي عباده ليُصلحهم، لينقلهم من حال النقص إلى حال الكمال، ليرقيهم شيئاً فشيئاً، حتى يصلحوا لمجاورتِه في جنات النعيم.

✡ وتربية الله لا تعدلها تربيةُ أحدٍ من البشر، وتأمل في قول الله لنبيه ﷺ:(وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) الضحى

(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ) قال السعدي: أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ رباك ورعاك، بل لم يزل يربيك أحسن تربية، ويعليك درجة بعد درجة.

✡تربية الله لنا تدور حول معاني أربعة:

أ) تربية إيجاد ب) تربية إعداد

ج) تربية إمداد د) تربية إسعاد

🗁 الثلاث الأولى هذه تربية عامة، كل المخلوقات اشتركوا فيها المسلم والكافر، والبر والفاجر والإنسان والحيوان، أما الأخيرة (تربية الإسعاد) فهذه تربية خاصة لأوليائه وأصفيائه وأحبابه.

✉ كيف ربانا الله هذه التربية الخاصة؟ الله عزوجل أنزل الكتب، وأرسل الرسل، من أجل أن يسعدنا بنعيم معرفته في الدنيا، وليصلح أفعالنا وأقوالنا، ويهذب أخلاقنا، ويطهر قلوبنا، ونصبح صالحين لمجاورته سبحانه في جنات النعيم، فإذا آمنا بكتبه ورسله، وعملنا بما علمنا، فعلنا الواجبات وتركنا المحرمات، نكون من أهل تربية الإسعاد، وهل هناك سعادة أعظم من أن نكون جيران الرحمن، ليس بيننا وبينه سبحانه سوى العرش، كما قال ﷺ (فإذا سألْتُم اللهَ فاسألُوه الفِردوسَ؛ فهو أوسطُ الجنَّةِ وهو أعلى الجنَّةِ وفوقَه العرشُ) صحيح ابن حبان

✉وأنقسم الناس في تربية الإسعاد إلى قوم أقبلواعلى الله فأقبل الله عليهم، وقوم أعرضوا عن الله فأعرض الله عنهم.

✉سؤال كيف ينتفع العبد المؤمن من تربية الله له؟

☜يفسر كل ما يقع عليه من أقدار الله بما يعرفه عن الله من اسمائه وصفاته، فلا بد أن يكون هناك حكمة من وراء أي عطاء أو بلاء، فالله يربي عباده بعدد أنفاسهم، والواجب على العبد أن يقبل التربية فلا يسخط من المنع، ولا يطغى في العطاء، والذي لا يعرف الله يربط الأقدار بالحظ والنصيب،ويربطه بالناس، فبدل أن يلجأ إلى الله كي يهديه ويلهمه رشده، ويطهر قلبه وأفعاله من المساوئ ومما لا يحب سبحانه، ينشغل في لوم الناس والكلام عن الناس، فلا يفكر في تربية الله له، وأنه سبحانه يجري عليه من الأقدار ليرقيه شيئاً شيئاً في سلم العبودية،ليعنه سبحانه على الوصول إلى أعلى عليين.

✉ فالناس ينقسمون أمام تربية الرب إلى قسمين:

أ) أعمى، لا يرى تربية الرب، وينسب الأفعال للناس، ويتهم الناس في بلائه، وينسب العطاء لذكائه.

ب) بصير، يربط كل شيء في حياته، والمواقف التي يعيشها، بتربية الرب جل وعلا، لأنه عرف الله بكمال أسمائه وصفاته وأفعاله الدائرة بين العدل والفضل، فإن أعطى بفضله وله حكمة، وإن أمسك بعدله وله حكمة، والعبد أمام المنع والعطاء يعلم أنه في اختبار وامتحان.

ثالثاً: صور من تربية الله لعباده:

❶الله يربي عباده بالمنع: الألم يربينا، المرض يربينا...الفقد يربينا ... الحزن يربينا، سلب النعم وقبضها يربينا...فالله يربي عباده بالأقدار التي يجريها عليهم وإن كان في ظاهرها أنها مؤلمة ومتعبة وشاقة، إلا أن فيها إصلاحا لقلوبهم وحالهم وأوضاعهم، وإكمالا لنقصهم وثغراتهم، وتطهيراً وتصفية لذنوبهم، تنبيهاً على غفلتهم، رفعة لهم في درجاتهم.

❷ الله يربي عباده بالعطاء: بالنعم والتسخير والتيسير والزيادة، ليرى الله مدى ثباتهم على الدين بعد أن فتح عليهم الأرزاق وأعطائهم الدنيا، ليختبر سبحانه مدى انشغالهم بالعطاء عن المعطي...! ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ...﴾ [40: النمل]

⇦معظم الناس إذا آتاه الله المال الوفير، والذرية النجيبة، ظنّ أن الله يحبه حباً جماً:﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾[المؤمنون:55-56]

⇦ لا تغتر بهؤلاء الذين أمددناهم بأموال وبنين، هذا ليس هو الخير؛ الخير أن يخاف الإنسان ربه، والخير أن يسارع في الخيرات، والخير أن يعمل الصالحات، كما قال ﷺ "نِعْمَ المالُ الصَّالحُ للمَرءِ الصَّالحِ". صحيح الأدب المفرد،

❍كل عطاء يبعد عن الله نقمة، وكل منع يقرب من الله فهو نعمة.

❸تربية الله عباده بالحلم: فيكون هذا العبد مقيم على معصية الله ومصرّ عليها ومنغمس فيها ويستحق أن يخسف الله به ومع ذلك يُمهله ويُنظره ويربيه!!يصرف له الآيات، يرسل له التنبيهات، قد تكون عقوبات نزلت بمن شاركونا المعصية عوقبوا هم ونجونا نحن...! قد تكون كلمات، أو نظرات تُلقي في قلوبنا الخوف، وكأنها تقول إلى متى ...؟! قد يكون بتغير أحوال من حولنا علينا، بصدهم بإعراضهم، بنفرتهم، بتسلطهم، بأذيتهم... قال ﷺ (ما توادَّ اثنانِ في اللهِ فيُفَرَّقُ بينهما إلَّا بذنْبٍ يُحْدِثُهُ أحدُهما) صحيح الجامع، يأتي التنبيه تلو التنبيه لعلنا أن نتوب، ونستغفر، ونتربى، ونُغير من أحوالنا، فننتفع من تربية الله لنا.

❹تربية الله عباده بصرف الناس عنهم: ذا رأى الله أنّ من صلاحك أن لا يحسن إليك أحد، منع الناس عنك، حتى يبقى قلبك عزيزا لا يطرق كل باب، معلقا به وحده سبحانه وبحمده.

❺تربية الله عباده بإظهار النقص البشري وبيان الكمال الإلهي: أحيانا قد تتعلق وتنبهر بصفة معينة من صفات من أمامك (بعلمه، بكرمه، بإحسانه...) فإذا أراد الله أن يربيك يبتليك بالصفة التي انبهرت بها، فتأتي مواقف ترى فيها بخله، أو انسحابه، أو منّته...، لتعرف أنه بشر فيه نقص، وأن الله هو الذي ستر عيوبه عن الناس وكمّله، فالله هو الذي يهب الكمال ويكمّل من يشاء من عباده فلا تطلب الكمال إلا من الله، ولا تغتر بالناس، ولا تركن إليهم، ولا تتعلق بهم ولا بصفاتهم.

❻تربية الله عباده بسرعة العقوبة على المعصية، تُخطئ فيربيك ...! والعقوبة قد تكون حتى للشخص الصالح لعله أن يرجع ويستعتب، بل إذا أراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة في الدنيا.

⇦إن نزلت العقوبة فكن على يقين أنك تستحقها كما هي، بقدرها، بنوعها، بحجمها ... فالله حكمٌ عدلٌ منزهٌ عن كل ظلم، عاملك بحكمته وعدله، وهو أعلم بالذي يناسبك ويطهرك ويصلحك (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (30) الشورى

⇦لا تنظر للعقوبة من زاوية واحدة فقط، بل انظر أن فيها خيرا وتكفيرا وتطهيرا ورفعة للدرجات...وإن طال زمن العقوبة بالرغم من توبتك واستغفارك وصلاحك، فليس عليك إلا أن تسلم الأمر لله ولا تسيء الظن بربك، ولا تغالبه فيما قدره عليك، وتيقن أن الله لطيف بعباده لا ينفك لطفه عنك، وسيذيقك آثار لطفه ورحمته، وكلما قبلت تربية الله لك وزاد صبرك زاد أجرك، وتوالت عليك النعم.

📝فالله سبحانه مُدبّرٌ لخلقِهِ ومُربّيهم ومصلِحُهُم وجابِرُهم، القائِمُ بأمورِهم، قيومُ الدُّنيا والآخرةِ، كلُّ شَيءٍ خَلْقُه، وكلُّ مذكورٍ سِواه عَبْدُه، وهو سبحانه رَبُّه، لا يصلحُ إلا بتدبيرِهِ، ولا يقومُ إلا بأمرِهِ، ولا يربُّه سِوَاه.

✉والرَّبُّ سبحانه وتعالى هو المتكفِّلُ بخلْقِ الموجوداتِ وإنشائِها، والقائمُ على هدايتِها وإصلاحِها، وهو الذي نظَّمَ معيشتَها ودبَّر أمْرَهَا، ودليلُ هذا المعنى ما ورد في قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: 54]، فالربُّ سبحانه هو المتكفِّل بالخلائق أجمعين إيجادًا وإمدادًا ورعايةً وقيامًا على كلِّ نفسٍ بما كسبَتْ.

۞ففي معنى اسم الله الرب تجد: صفة الخلق، وصفة الرزق، وصفة التدبير، وتجد كذلك صفة القيويمة؛ قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: 33].

❷ ويُطلق أيضًا على السّيدِ المطاعِ، ومنه قولُه تعالى: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: 41]؛ أي: سيدَهُ المطاعَ.

قال الطبري:" فَرَبُّنَا جلَّ ثَنَاؤُهُ السَّيِّدُ الَّذِي لَا شِبْهَ لَهُ، وَلَا مَثَلَ فِي سُؤُدُّدِهِ، وَالْمُصْلِحُ أَمْرَ خَلْقِهِ بِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَالْمَالِكُ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْر ".

❸ الرب بمعنى المالك، رب الشيء هو مالكه.

⇦ومنه قوله -تعالى-: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الفاتحة: 2] قال القرطبي: (رَبِّ الْعَالَمِينَ): أي مالكهم، وكل من ملك شيئًا فهو ربه.

⇦فالرب -سبحانه وتعالى- هو الخالق لجميع المخلوقات، والمالك لكل الموجودات، والمتكفل برعايتها وهدايتها، والمدبر لها أمورها.

⇦أنت عبدٌ لله يصرفك كيف شاء ولا ينبغي للعبد أن يخرج عن إذن مالكه ولا عن أمره.

⇦هو الذي ملك أمرك، ففوّض له أمرك واسمع ما يدعوك إليه واستجب له {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال من الآية:24]؛ يدعوك إلى ما فيه نفعك، المالك لناصيتك، هو أحق من يأمرك وينهاك، فاخضع لمولاك، وانكسر بين يديه وتذلل، قل سمعنا وأطعنا، ولا تستكبر كإبليس وجنوده وتقول سمعنا وعصينا.

📃قال ابن القيم –رحمه الله تعالى- في قوله تعالى:(رَبِّ الْعَالَمِينَ): ربوبيته للعالم تتضمن تصرفه فيه، وتدبيره له، ونفاذ أمره كل وقت فيه، وكونه معه كل ساعة في شأن، يخلق ويرزق؛ ويميت ويحيي، ويخفض ويرفع؛ ويعطي ويمنع؛ ويعز ويذل، ويصرف الأمور بمشيئته وإرادته، وإنكار ذلك إنكار لربوبيته وإلهيته وملكه) (الصواعق المرسلة) (1223/4).

📃قال ابن القيم –رحمه الله تعالى: في قوله تعالى (رَبِّ الْعَالَمِينَ): قيوماً قام بنفسه؛ وقام به كل شيء، فهو قائم على كل نفس بخيرها وشرها، قد استوى على عرشه، وتفرد بتدبير ملكه، فالتدبير كله بيديه، ومصير الأمور كلها إليه، فمراسيم التدبيرات نازلة من عنده على أيدي ملائكته بالعطاء والمنع، والخفض والرفع، والإحياء والإماتة، والتوبة والعزل، والقبض والبسط، وكشف الكروب وإغاثة الملهوفين وإجابة المضطرين: (يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [الرحمن: 29]، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مبدل لكلماته، تعرج الملائكة والروح إليه، وتعرض الأعمال أول النهار وآخره عليه، فيقدر المقادير ويوقت المواقيت، ثم يسوق المقادير إلى مواقيتها، قائماً بتدبير ذلك كله وحفظه ومصالحه) ((الصلاة وحكم تاركها)) (ص: 169، 170).

❍إذن هو سبحانه وتعالى الذي يُدبّر لك أمرك؛ فسله وحده أن يُدبّر لك حالك، وفوّض له أمرك.

رابعاً: حقيقةُ معنى الربوبية في القرآن تقوم على رُكْنَين اثنين وَرَدَا في آياتٍ كثيرة:

أحدُهما: إفرادُ اللهِ بالخلْقِ.

والثاني: إفرادُه بالأَمْرِ وتدبير ما خلقَ.

كما قال تعالى عن موسى عليه السلام؛ وهو يُبين حقيقةَ الربوبية لفرعونَ لما سأله:﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: 49، 50].

فأجاب فرعونَ عن الربوبية بحصْرِ معانيها فِي معنيَين جامِعَين:

الأول: (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) [طه:50]، إفرادُ الله بتخليقِ الأشياء وتكوينها وإنشائها من العدم حيث أعطى كلَّ شيءٍ خلْقَهُ وكمالَ وجودِهِ.

والثاني:(ثُمَّ هَدَىٰ) إفرادُ اللهِ بتدبيرِ الأمْرِ في خلْقِهِ كهِدايتِهم، والقيام على شؤونِهم، وتصريفِ أحوالهم، والعنايةِ بهم؛ فهو سبحانه الذي تَوكَّل بالخلائق أجمعين قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: 62].

فالله سبحانه وتعالى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى؛ فبيّن لكل إنسان وجه المطلوب منه (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) [الشمس:8]، (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) [البلد:10]؛ فلا حجة لأحدٍ أن ينفي عن نفسه معرفة طريق الحق من الباطل، إذ بيّن الله عز وجل هذا الأمر في فطرة الإنسان، ثم تولى تربية أجسامنا، ونفوسنا، وعقولنا، عن طريق آياته الكونية، وعن طريق آياته القرآنية، وعلمنا كيف نصل إلى الطريق المستقيم.

هذا الاسم الكريم يربطنا بأصلٍ من أصول عقيدتنا، هو توحيد الربوبية لله، والمراد به:

أن نعتقد اعتقادًا جازمًا لا شك فيه بِتَفَرُّدِ الله جل جلاله بأفعاله في خلْقه، خلَقهم وحده وَتَفَرَّدَ برزقهم وتدبير معاشهم، فالأمر بيده والكون كونه والخلْق خلْقه والعبْد عبْده سبحانه وبحمده، هو الرب جل جلاله لا يُنازعه في ربوبيته أحد.

ولمّا طغى بعض جبابرة البشر كفرعونَ لعَنَهُ اللهُ إذْ قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24]، فإنَّه أرادَ أن يَستبدَّ بالربُوبيةِ العاليةِ على قومِهِ، ويكونَ ربَّ الأرباب فيُنازع اللهَ في ربوبيتِهِ ومُلكِهِ الأعلى ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: 25].

يجب الإيمان أن الله -عز وجل- رب كل شيء وخالقه ومليكه، والقادر عليه، والمتصرف في جميع أموره؛ وبهذا فإنه لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره، وأكثر طوائف المشركين فقد أقروا بربوبية الله -عز وجل- ولم ينكروها، وهم عبيد الله عز وجل بهذا المعنى قال تعالى: (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ) [يونس: 31]، وهم الذين قال الله عز وجل عنهم: (وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) [آل عمران: 83].

فالذين آمنوا بربوبية الله عز وجل وحدها دون أن يوحدوه ويعبدوه هم الذين أسلموا لله عز وجل كرهاً، وأما الذين وحدوه وعبدوه وأطاعوه فهم أهل العبودية الخاصة الذين عبدوا الله عز وجل طوعاً واختياراً وانقياداً.

✉قال ابن القيم رحمه الله تعالى: العبودية نوعان: عامة، وخاصة.

❶فالعبودية العامة: عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك، قال تعالى: (إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) [مريم: 93].

❷وأما النوع الثاني: فعبودية الطاعة والمحبة، واتباع الأوامر، قال تعالى: (يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) [الزخرف: 68]، (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) [الزمر: 78-18]، وقال: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا) [الفرقان: 63]. ((مدارج السالكين)

✉قال ابن القيم (فهو ربُّ كلِّ شَيءٍ وخالِقُه، والقادِرُ عليه لا يخرجُ شيءٌ عن ربوبيتِهِ، وكلُّ مَنْ فِي السماواتِ والأرضِ عَبْدٌ له فِي قبضتِهِ، وتحتَ قَهْرِهِ، فاجتمعوا بصفةِ الربوبيةِ، وافترقوا بصفةِ الإلهيَّةِ، فَأَلَّهَهُ وَحْدَهُ السُّعداءُ، وأقرُّوا له طوعًا بأَنَّه اللهُ الذي لا إلَهَ إلا هو، الذي لا تنبغي العبادةُ، والتَّوكُّلُ، والرَّجاءُ، والخوف، والحبُّ، والإنابة، والإخْبَات، والخشية، والتذلُّل، والخضوع له، وهنا افتراق الناس، وصاروا فريقين: (فريقاً مشركين في السعير، وفريقاً موحدين في الجنة) ((مدارج السالكين)) (1/34، 35).

⇦ما معنى (العبد الرّباني): الله سبحانه وتعالى يقول:(كُونُوا رَبَّانِيِّينَ...) [آل عمران (79)].

✉الرباني: هو المنسوب إلى الرب وزيدت الألف والنون للمبالغة، ويقال عالمٌ ربَّانيٌّ أي راسخٌ في العلم.

✉ورجل ربَّانيٌّ: أيْ كلُّ حياته محصورةٌ في معرفة الله وذكره وخدمة عباده.

✉قال الجوهري: "الرباني هو المتألّه العارف بالله تعالى".

⇦المتألّه أي العبد: 1- الذليل. 2- الخاضع.3- المحب 4- العارف بالله.

⇦ولا يمكن أن يصل إلى الذل والخضوع والمحبة إلا على طريق المعرفة والعلم من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

✉لأن الألوهية معناها العبادة، والعبادة على ثلاث معانٍ: حب تام، وذل تام، على سبيل الإجلال والتعظيم.

✉فمن عرف الله أحبه، ومن عرف الله ذل بين يديه، ومن عرف الله وأعطاه قدره عظمه وأجله وهابه.

⇦إذًا للعبد الرّباني أربع صفات: ذليلً، خاضعٌ، محبٌ، عارفٌ بالله تعالى.

✉فالربَّاني هو الذي لا يتحرَّك إلا وفق منهج الله، لا يقف موقفاً، ولا يُعطي، ولا يمنع، ولا يغضب، ولا يرضى، ولا يصل، ولا يقطع، إلا وفق مرضاة الله.

✉فكلما تخلص الإنسان من جواذب الأرض بروحه وارتفع قلبه إلى السماء وازدادت صلته بالله كان ربانيا.

✉ووظيفة العبد الرباني العارف بالله: أن يقوم بتهذيب النفوس وتربيتها وإصلاحها.

📝وعلم تهذيب النفوس ما أصعبه، النفس تتشكل في اليوم الواحد أكثر من مئة مرة كان الجنيد يقول: "الصادق يتقلّب في اليوم أربعين مرة، والمرائي تجده على حالةٍ واحدة أربعين سنة".

✉دور المربي أنه يُبيّن لهذا الشخص الذي يربيه كيف نزوع النفس وتقلباتها، وكيف يستطيع أن يتعامل مع هذه الشبهات وهذه الواردات عليه، ولا بد لهذا أن يكون له طول باع في معاملته لنفسه؛ لأنها تتلوّن... تتقلّب... فتوصل له هذه الرسالة: لا تمكث على حالةٍ واحدة، وإذا مكثت على حالةٍ واحدة ستُبتلى بالرياء والعجب؛ فلا بد أن تتقلّب، من ذكرٍ، لقراءة قرآن، لصلوات لصدقات، فإذا أعجبت نفسك بشيءٍ توجه لبابٍ آخر كي لا تفتح على نفسك باب إعجاب بالعمل.

📄خامساً: حظ المؤمن من هذا الاسم العظيم:

1- أن تعلم أن الرب تعالى له علو الشأن والقهر والفوقية وأوصاف العظمة والكبرياء، وأنه لا ينازع في ذلك؛ فتقتضي منك ذلًا وانكسارًا وافتقارًا، وأن تكتسي ثوب العبودية، وتخلع عن نفسك رداء الربوبية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: "قَالَ اللَّه عزَّ وجلَّ: العِزُّ إزاري، والكِبْرياءُ رِدَائِي، فَمَنْ يُنَازعُني في واحدٍ منهُما فقَدْ عذَّبتُه" رواه مسلم.

وقال رسولَ اللَّهِ ﷺ: "بيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي في حُلَّةٍ تُعْجِبُه نَفْسُه، مُرَجِّلٌ رأسَه، يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ، إذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأَرْضِ إلَى يوْمِ القِيامةِ". متفقٌ عَلَيْهِ

2- أن تستشعر طوال الوقت أنك عبد له رب، يأمرك وينهاك، فلا تشرع ولا تحلل ولا تحرم، إلا بدليل من الكتاب والسنة.

3- الواجب على من ولاه الله أمور الناس، السَّعْيِ في مصالِحِ الرَّعِيَّةِ، والجَهْدِ في دَفْعِ ضَرَرِهم وما يَشُقُّ عليهم من قولٍ أو فعلٍ، وعدمِ الغَفْلَةِ عن أحوالِهم.

قال رسولَ اللَّهِ ﷺ (اللَّهُمَّ، مَن وَلِيَ مِن أَمْرِ أُمَّتي شيئًا فَشَقَّ عليهم، فَاشْقُقْ عليه، وَمَن وَلِيَ مِن أَمْرِ أُمَّتي شيئًا فَرَفَقَ بهِمْ، فَارْفُقْ بهِ).

4- ألا يصف نفسه بأنه رب كذا؛ تواضعًا لربه وتوحيدًا له، من باب التأدب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقولن أحدُكم: عبدي وأمتي، ولا يقولن المملوكُ: ربّي وربَّتي، وليقل: المالك فتاي وفتاتي، وليقلِ: المملوكُ سيدي وسيدتي؛ فإنكم المملوكون والربُّ الله عز وجل» (صحّحه الألباني في صحيح أبي داود[4975]).

5- طمأنينة القلب وسكينته في الرضا بالقضاء والقدر، فكل ما يحدث في الكون بإرادة الله ووفق تدبيره.

6- تتذكر أن الله لو ابتلاك فهو ربٌ يُربيك، قد تكون لديك آفة لا تستطيع التخلص منها مهما امتثلت كلام العلماء -كالعُجب مثلًا-، فيمرّ بك ابتلاءً يكسرك ويوقفك على حقيقة نفسك؛ فتقول: "ربّاني الله في هذا الموقف".

7-أن يسعى في إصلاح نفسه وتهذيبها وفق قواعد أهل العلم من التخلية والتحلية؛ فكما قلنا من معاني الرب الإصلاح والتهذيب، فلا بد أن يضع يده كل فترة على آفاتٍ يسعى في إصلاح نفسه فيها؛ ويدونها ويشرع في تهذيب نفسه بها.

❍كيف أهذب نفسي⇦ابدأ بالتخلية: بأن تتخلى عن آفات نفسك، وذلك وفق أسس معينة:

أولاً: أول مقام هو الاستعانة بالله سبحانه وتعالى على هذا، ويعلم أنه لن يُهذّب إلا إذا شاء الله عز وجل له ذلك، لا بحوله ولا قوته (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) [الرعد من الآية:11]؛ إذن عليهم فقط أن يشرعوا في التغيير والله عز وجل يُقرّبهم إليه.

ثانياً: ثم بعد ذلك يأتي مقام الصدق وقاعدة الأساس: الصدق والإخلاص في طلب التغيير، وإلا فلن يتغير.

⇦عندما صدق أنس بن النضر رضي الله عنه وصلت له راحة الجنة، أنس بن النضر رضي الله عنه لمّا قال: "لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنعُ"، صدق مع الله فبشره الكريم، فشمّ ريح الجنة "الجنةُ وربِّ النضرِ، إني أجدُ ريحها من دونِ أُحُدٍ" (صحيح البخاري) .

فإذا صدقت -مثلًا- في طلب العلم؛ تجد الأمور فُتِحت وتيسّرت، إذا أردت أن تُغير نفسك وتسعى في تهذيبها وصدّقت؛ اعلم أنك ستُرشَد، هذا حال الصادق، أما الكاذب أو المرائي تجده متخبطًا متعثرًا (إنما يتعثّر من لم يُخلِص).

ثالثاً: أن تعرف نفسك؛ لأنه إذا عُلم السبب سهل، ومن عرف نفسه عرف ربه.

⇦فالتغيير هنا يقوم على داعمتين: - ❀معرفته بنفسه ❀وبمقام الذنب: وهذه تحتاج أن يضع يده طوال الوقت على عيوبه وأن تكون عيوبه طوال الوقت أمام عينيه، ولا يُفتش على عيوب الآخرين؛ فلو فتش على عيوب الآخرين سيُبتلى، انجُ بنفسك ابتداءً ثم بمن يكون تحت رعايتك.

📋فكيف تعرف نفسك وتُبصِر عيبك؟

أ) نقد الناقد له ونصيحة الناصح وكيفية تقبله لها؟ هل بتكبّر، أم بالمبرّرات حتى يظهر نفسه بريئًا؟ لأن «المؤمنُ أخو المؤمنِ» (صحيح مسلم (1414))، وفي لفظ: «المؤمِنُ مرآةُ أخيهِ» (حسّنه الألباني في صحيح الأدب المفرد: [178]).

✉النصيحة رسالة من الله سبحانه وتعالى كي أشرع في تهذيب نفسي؛ لأن الله ربٌ فيربي.

ب) (بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ) [القيامة:14-15]، فهو على علمٍ بحقيق نفسه وعيوبه، لكن بتوسط؛ دون أن يُهوّل اليسير، أو يُهوّن العظيم.

رابعاً: الشروع في إصلاح ما بنفسه على علمٍ وبصيرة(التحلية).

⇦لا بد أن يعرف أن كل آفة لها علاجها، وأصل العيب هو فراغ القلب، القلب فارغ فيتمكن منه حُب سوى الله؛ فيحتاج أن يشرب القلب محبة الله عز وجل.

📋 كيف تأتي محبة الله؟ نقطع عن القلب الغفلة التي جعلته ينسى الله ويتعلّق بما سواه، فنعطيه في البداية جرعة ذكر، ونُشرِب القلب محبة الله شيئًا.. فشيئًا.. فشيئًا؛ ونُعلِّقه به ونزيد في الجرعة فنُوّهن هذا التعلُّق بغيره، وفي هذا الوقت تحتاج إلى ذكر، وقرآن، وخلوة لأنه مبتلىً بسبب الاختلاط، وحضور مجالس العلم، والابتعاد عن أهل الدنيا والاقتراب من أهل الآخرة.

سادساً: ثمراتُ الإيمان بهذا الاسمِ:

❶إنَّ اللهَ سُبحانه هو الربُّ على الحقيقةِ، فلا رَبَّ على الحقيقةِ سِواهُ وهو ربُّ الأربابِ ومالكُ المُلكِ، ومَلِكُ الملوكِ سبحانه وتعالى.

قال القرطبيُّ: "فالله سبحانه ربُّ الأربابِ، ومعبودُ العُبَّادِ، يَمْلكُ الممالِكَ والملوكَ، وجميعَ العبادِ، وهو خالقُ ذلك ورازِقُهُ، وكلُّ ربٍّ سواه غيرُ خالقٍ ولا رازقٍ، وكلُّ مخلوقٍ فَمُمَلَّكٌ بعد أَنْ لم يَكُنْ، ومُنتَزَعٌ ذلك مِن يدِهِ، وإنما يملكُ شيئًا دون شيءٍ.

❷فمَنْ عَرَفَ ذلك لم يَطلبْ غَيرَ اللهِ تعالى له ربًّا وإلهًا، بل رَضِيَ به سبحانه وتعالى ربًّا، ومَنْ كانت هذه صِفَتَهُ ذاق طعمَ الإيمانِ وحلاوتَهُ، كما قال صلى الله عليه وسلم: " ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ باللَّهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسولًا ". صحيح مسلم

قال القاضي عياضٌ رحمه الله: "معنى الحديثِ: صَحَّ إيمانُه، واطْمَأَنَّتْ به نفسُه، وخامَر باطِنَهُ؛ لأنَّ رضاه بالمذكوراتِ دليلٌ لثبوتِ معرفَتِهِ، ونفاذِ بصيرتِهِ، ومخالَطَةِ بشاشتِهِ قلبَهُ؛ لأنَّ مَنْ رَضِيَ أمْرًا سَهُلَ عليه، فكذا المؤمنُ إذا دَخَلَ قلبَهُ الإيمانُ سَهُلَ عليه طاعاتُ اللهِ تعالى، ولذَّتْ له، واللهُ أعلم"

❸ الربانية: وهي أن تكون الحياة كلها لله في التصورات والأقوال والأفعال (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) الأنعام

❹أَنْ يُحسِنَ تربيةَ مَنْ جُعلتْ تربيتهُ إليهِ.

قال القرطبيُّ رحمه الله: "فيجبُ على كلِّ مُكلَّفٍ أَنْ يَعلمَ أَنْ لا ربَّ له على الحقيقةِ إلا اللهُ وَحْدَهُ، وأَنْ يُحسِنَ تربيةَ مَنْ جُعلتْ تربيتهُ إليهِ، فيقُومُ بأمرِهِ ومَصالحِهِ كما قامَ الحقُّ فَيُرَقِّيَه شيئًا شيئًا، وطورًا طورًا، ويحفظُه ما استطاع جُهْدَه، كما حفظه الله.

فالعالِمُ الرَّبانيُّ: هو الذي يُحقِّقُ عِلْمَ الرُّبوبيةِ وربَّى النَّاسَ بالعلمِ على مقدارِ ما يحتمِلُوه، فبذَلَ لخواصِّهم جوهَرَهُ ومكنونَهُ، وبذل لعوامِّهم ما ينالون به فَضْلَ اللهِ ويُدركونه". الكتاب الأسنى

❺الدعاء باسم الله (الرب): هذا الاسم الكريم يُضيف إلى القلوب أُنسًا بِرَبِّهَا واقترابًا ودفئًا؛ فالله عز وجل يُمجَّدُ بهذا الاسم، ويُدعى بهذا الاسم، ويُحمد ويُثنى عليه بهذا الاسم، وفي كثيرٍ من أدعية القرآن تأتي لفظة الرب في صدر تلك الأدعية القرآنية الكثيرة.

وقال السعدي رحمه الله :(و"الرب" هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا: تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم، وأخلاقهم، ولهذا أكثر دعائهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه التربية الخاصة).

وقد دعا الأنبياءُ والصالحون اللهَ سبحانه وتعالى بهذا الاسمِ وتَضَرَّعوا به إليه.

فدعا آدمُ؛ وحوَّاءُ به كما في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23].

ونوحٌ؛ في دعائِهِ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: 28].

وإبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام؛ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127].

وموسى؛ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: 151].

ودعاء زكريا عليه الصلاة والسلام: (رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً) [آل عمران: 38].

ودعاء أيوب عليه الصلاة والسلام: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) [ص: 35].

ودعاء عباد الله الصالحين في قولهم: (رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) [آل عمران: 193-194]، وقولهم: (رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) [الفرقان: 65].

⇦إلى غير هذا من الآيات التي صدرت حال الدعاء بصفة الربوبية.

- وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الله كثيراً باسم (الرب)، ويمجده ويعظمه به، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: ألا أدلك على سيد الاستغفار(سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ قالَ: ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ....)(رواه البخاري (6306).

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه يقول: (اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ...) (رواه مسلم (1035).

وكان إذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ قال: (اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيما كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِما اخْتُلِفَ فيه مِنَ الحَقِّ بإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَن تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ....) رواه مسلم (770).

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ عِنْدَ الكَرْبِ:(لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ ورَبُّ الأَرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ) رواه البخاري (6345)، ومسلم (2730).

✉يشعرُ عليه الصلاة والسلام بسرورٍ بالغٍ ولذّةٍ عارمة وهو يتمدّح الله بلفظ «الربِّ» وهو يركن إلى خالقه باسم «الربِّ»، وهكذا علَّمَنا صلى الله عليه وسلم أن نكون أكثر قُربًا من ربنا ونحن ندعوه ونسألهُ ونرجوه، نعلن عبوديتنا قائلين: يا رب إنّا عبيدُك بنو عبيدك بنو إمائك، ما أعظمه من ربٍّ كريمٍ خالقٍ رازق! الرب سبحانه وتعالى الذي يحوينا بفضله، ويغزونا بنعمه، ويتفضّلُ علينا جل جلاله.

ألبسي لباس الذل والإخبات والحب والإجلال؛ وأرفعي يديك، ونكسي رأسك، وقفي بين يدي الله عز وجل مستشعرة مقام العبودية له جل في علاه، وأبدأي في مناجاته سبحانه، وأشعري أن ما تطلبيه لن يكون إلا منه، وكوني على يقين أن لن يرد يديك صفراً، أشعري بركونك إلى خالقٍ عظيمٍ، رازقٍ كريم، مدبّرٍ، بيده مقاليد السماوات والأرض وعنده خزائن كل شيء، فإذا ما دعا أحدنا فقال: يا رب، فإنه أفضى بقلبه وقال به، بظاهره وباطنه، بعلانيته وسرّهِ وجهره إلى هذا الخالق العظيم جل في علاه؛ ليسأله أو ليتمدَّحه، أو ليُثني عليه أو ليطرق بابه، أو ليتملَّق إليه بما يحب جل جلاله.

هذه كانت بعض اللطائف حول هذا الاسم الجميل، اسم الله تعالى الرب وأرجو أن نتفاعل مع هذا الاسم وجدانيًا، لا سيما في مقامات الدعاء، نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علَّمنا وأن يجعله حُجةً لنا لا علينا.

المراجع:

❶شرح وأسرار الأسماء الحسنى اسم الله الرب (هاني حلمي).

❷الدرر السنية (الموسوعة العقدية).

❸أسماء الله الحسنى (حسن بن حميد البخاري).

❹معنى اسم الرب (وحيد عبد السلام بالي).